رسالة جامعية
عرض ونقض

القرآن : ينابيع الوحي الإلهيّ
البِنْية الإيقاعية فى السور المكيّة

Le Coran: Aux Sources de la Parole Oraculaire
Structures Rythmiques des Sourates Mecquoises

تأليف

بيير كرابون دي كابرونا

Pierre Krapon de Caprona

بقلم

أ.د. لبيب السعيد

(جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية)



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

– ١ –

فهذه الدراسة – وعنوانها : القرآن : ينابيع الوحى الالهى – البِنْية الايقاعية فى السور المكية – هى رسالة للدكتوراه قدمها سنة ١٩٧٨م الى كلية الاداب فى جامعة جنيف مستشرق اسمه بيير كرابونا دى كابرونا Pierre Crapon de Caprona ، تحت اشراف أستاذ هناك هو سيمون جارجى Simon Jargy الذى اقترح هو نفسه موضوع الرسالة فى سنة ١٩٦٩م ، والذى قدملها – بعد طبعها ببحث موجز شارح .

وقد صدرت الرسالة فى باريس عام ١٩٨١م ضمن المطبوعات الاستشراقية الفرنسية "مجموعة عربية " Collection Arabiyya

ويقرر المؤلف أن جهدهفى رسالته هذه هو بمثابة وضع النقط على الحروف ، أو بمثابة وضع علامات الترقيم بين الالفاظ .

ويذكر عن خطوات دراسته ما ملخصه أنه كان – فى عام ١٩٥٦م – نجح لأول مرة ، فى تقديم نصوص مختارة من التوراة العبرية ، وهى نصوص يشهد هو بأنه ليس بينها نص واحد يطابق فى صيغته الحاضرةصيغته الأصيلة ، فقد عملت – كما يقول – يد "التعديل" و "الطهى المستمر" فى هذه النصوص مرات ومرات .

ويقول المؤلف نفسه انه نجح بعد محاولات دائبة ذات مناهج مناسبة – فى نزع القشرة التى تغلف نصوص التوراة العبرية والسريانية ، واستنبط خمس ملاحظات مؤداها :

١) أن تقسيم النص الى سور وآيات انما هو – بالنسبة للأصل – شيء متأخر التاريخ ، ولذلك يجب ترك هذا التقسيم اذا اردنا الاستمساك بالوضع الاصيل .

٢) أن وضع النقط على الحروف ، ووضع الفواصل بين الجمل هما أمران تابعان دائما للايقاع Rythme ، وأنه مهما يعترضنا فى طريق ايضاح الايقاع فى نص من النصوص القديمة فإن "الترنيم الايقاعى "La Signalisation Rythmique" يفرض نفسه فرضا "بصفته النسق الذى يسمح للكاتب القديم أن يتصل بقارئه الحديث ، ويدخل معه فى محاورة أو محاضرة" .

٣) أن هذا الترقيم الذى يتم من خلال الايقاعات يكشف تفسيرات جديدة للتوراة .

والمؤلف ــ حسبما يقرر ــ لا يعنى بهذا أنه يرفض التفاسير التقليدية القديمة، ولكنه ــ كما يقول ــ يعنى فقط أن النقص فى الترقيم أو الخطأ فيه أفضى الى تحريفات هنا وهناك، ذلك أن الوقوف إذ حرفت عن مواضعها جعلت الترجمة خاطئة .

٤) ان طرح التعديلات التى كأنها وصاية مفروضة على التوراة يجلو لنا خصائص الاصل، ويكشف عن أن الساميين الغربيين الذين صنعوا هذه التوراة هم أحق الناس بأن يلقبوا بنجوم فن القول .

٥) ان النصوص السامية النثرية ــ مع تنوع الايقاعات فيها ــ يمكن تصنيفها فى مجموعتين أساسيتين :

أ) مجموعة النثر المتصل ب) مجموعة النثر المنفصل

ويقول المؤلف ان هذا التصنيف يقتضى أن نضيف الى مقاييس الجملة مقياسا جديدا هو عدد الجمل الصغيرة المتضمنة فى الجملة الكبيرة .

ومن خصائص النثر المتصل ــ هكذا يقول المؤلف ــ أن فواصله متماثلة فى عدد الحروف، وفى الحركات والسكنات، أما النثر المنفصل فيتضمن جملا تتوازن بعضها مع بعض، ولكل مقطع منها ايقاعه الخاص .

وعندنا أن القول بأن المؤلف ــ فى رسالته عن القرآن ــ اتبع نفس المنهج الذى كان قد أتبعه قبلافى دراسته عن التوراة هو اعتراف صريح بفساد هذا المنهج، فالقرآن غير التوراة :

أ) القرآن لغته العربية ، والتوراة لغتها العبرية، ومع أن اللغتين كلتيهما تنتميان غالبا لاصل واحد ، فانهما ــ واقعيا ــ مختلفتان من أوجه شتى ، منها البنية والنحو والصرف والاسلوب .

ب) والقرآن ــ فيما يؤمن به المسلمون ــ تولى الله حفظه " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (سورة الحجر/٩) ، أما التوراة فقد استحفظها الله أهلها ، " بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ (المائدة / ٤٤)، فحرفوا فيها : " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه" (سورة النساء/١٦) ، " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (سورة آل عمران/٧٨) ، وقد أخفى اليهود كثيرا من كتابهم :
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ (المائدة/١٥) .

ج) والقرآن عند المسلمين هو ــ على التحقيق ــ كلام الله ، والتوراة الحاضرة-فيما يقرر العلماء مسلمين وغير مسلمين ــ يرجع اصلها الى ما كتبه عزرا الكاهن بأمر ارتحستا ملك فارس الذى أذن لبنى اسرائيل بالعودة الى أورشليم ، وأذن له أن يكتب لهم كتابا من شريعة الرب وشريعة الملك ، ولذلك تكثر فيه الالفاظ البالية كثرة فاحشة" (١)

د) والقرآن هو الرسالة الخاتمة التى جاءت على التأبيد ، أما التوراة فجئ بها على التوقيت ...

ــ ٢ ــ

واقترح المشرف على مؤلف الرسالة أن يطبق على القرآن نفس نتائج بحثه عن التوراة، وقد ناقشنا هذا الآن فلا نعود اليه ، ولكن المهم هو أن المؤلف رحب بهذا الاقتراح ، ليناقش ــ كما يقرر هو نفسه ــ مقولة : " وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ " ، (يس/٦٩) ،فأوصلته دراسته الى غاية أعلن عندها مغتبطا أن القرآن ليس نثرا .

ويقول المؤلف انه لم يجد فى هذا الشأن مرجعا يستعينه، وانما وجد فحسب ــ كما يقول ــ ما ملاءه شكا وحيرة يدفعانه الى هذه التسأولات :

هل نزل القرآن بلغة واحدة؟

وهل هى اللغة العامة التى كانت وقت نزوله هى الاوسع انتشارا ؟ .

أم هل هى لغة الشعراء Koïne des poetes "الكفار" الذين خضعت أشعارهم يقينا للتحوير والتغيير بفعل النزعة التقليدية "الكلاسيكية" .

وهنا أيضا نرى المؤلف يتجرأ على ما نظن أنه لا يدريه، بله مالا يفهمه، وأنه عاجز الوسيلة خائب الغاية .

فدعوى كابرونا هى نفس دعوى بعض الكفار حين نزل القرآن :

قال هؤلاء يومئذ ان النبى شاعر، وان القرآن شعر، فرد الله تعالى دعواهم بقوله " وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ " (سورة يس/٦٩) ، أى نفى الله سبحانه أن يكون القرآن شعرا ، ثم نفى ان يكون النبى شاعرا ، فقال : "وما ينبغى له"، أى : لايصح له الشعر ، ولا يتأتى منه، ولا يتسهل عليه لو طلبه وأراد أن يقوله (٢) .

---

(١) انظر رشيد رضا : تفسير المنار جـ ١ ص ٢٠٩

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٣٧٩ .

وخاض الكفار فى فنون الاضطراب لما سمعوا القرآن ، فأدعوا أنه شعر يخيل للناس معانى لا حقيقة لها . " بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ " (الانبياء/٥) .

وقد حكى القرآن عنهم : " وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ " (الصافات/٣٦) ، أى " لقول من يقول بالمقدمات الخيالية عن الجنون" ، كما يقول القاسمى فى تفسيره .

وأجتمعت قريش فى دار الندوة ، وكثرت آراوءهم فى النبى (ص) ، حتى قال قائل منهم : تربصوا به ريب المنون ، فانه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والاعشى ، فنزل فى ذلك قوله تعالى : "أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ" (سورة الطور/٣٠) (١) .

وكذلك قال أبو جهل فى شأن النبى (ص) مبلغ القرآن : ان محمدا شاعر ، فقال الله تعالى :" وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ " (سورة الحاقة/٤١) . ونسب تعالى القول الى محمد (ص) ، لانه هو مبلغه والعامل به(٢)

وفى شأن اللغة التقليدية Classique ، يقول الموءلف انه قامت مدرستان :

(احداهما) مدرسة وزانى الشعر Metricien ، وعلى رأسها جوت هولد ويل Gott hold Weil

والثانية) مدرسة المتخصصين فى اللهجات Dialectologues ويمثلها هاريس بيركلاند Harris Birckland .

وكلتا المدرستين تتناقض مع أختها فى الحكم على : طول المقاطع Longueure Syllabique والغنات المشـــددة Accentuation .

---

(١) أنظر : أبو حيان الاندلسى : البحر المحيط ج ٨ ص ١٥١
(٢) المرجع السابق ص ٣٢٨

ويمضى المؤلف فيما لا أجافى الموضوعية اذا اسميته تخبطا ، فيقول انه زاد من شكوكه حول شعرية القرآن أن نصوص القرآن لم تستوف صيغتها النهائية الا بعد ثلاثة قرون ، ومن المحتمل - شئنا أم ابينا - هكذا يزعم ... أن تكون هذه النصوص تعرضت لمثل ما تعرض له الشعر الجاهلي من تبديل أو تعديل .

وأدعى - فى رأيه - الى زيادة تلك الشكوك أن الصحابة القدامى أمثال : أبى الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وابىّ بن كعب ومعهم قدامى الداخلين فى الاسلام خلال الحقبة المدنية أمثال أبى موسى الاشعرى ... كل هؤلاء لم يشاركوا فى جمع القرآن،وانما عهد بهذا الجمع الى زيد بن ثابت الذى لم يكن عمره - عندما قبض الرسول (ص) - يتجاوز عشرين ربيعا .

وحتى الأربعة الصحابة المكيون آنفا اختلفوا فيما بينهم حول بعض النصوص القرآنية . وقد توفى فى معركة اليمامة واحد ممن حضروا نزول الوحى وهو سالم بن معقل ، فشهادته - مع أهميتها - لم تؤد الينا .

ولئن كان وراء جامع القرآن زيد بن ثابت شخصية الخليفة عثمان بن عفان أحد كبار الصحابة ، ان جمع عثمان نفسه الذى لم يتم الا بعد نحو ثلاثين سنة من وفاة الرسول (ص) ، كان - فيما ادعى المدعون - محل نقد عنيف من على بن أبى طالب أقرب أقرباء الرسول (ص) وابن مسعود خادم الرسول .

والمؤلف هنا يثير غبار الشك حول القرآن عن طريق هذه الاخبار التى ثبت كذبها . هذا فوق أن البحوث العلمية المستقصية تؤكد أنه لم يظفر كتاب فى الدنيا على مدى التاريخ بمثل ما ظفر به القرآن من عناية دقيقة وحفظ وثيق (١) .

ويقول كابورنا ان مما يزيد فى شكه وحيرته أن فحص سيرة محمد ذاته يكشف عن مجموعة من الاضطرابات ، وأن بعض هذه السيرة تعرض لعملية انضاج مدهشة انتهت - بعد قرن واحد من وفاة النبى (ص)-الى التحريف ، كما هو مشاهد محسوس فى "سيرة النبى" لابن اسحق التى ترجمها الفريد جويوم Alfred Guillaume بعنوان "حياة محمد"

---

(١) انظر فى دحض هذه الادعاءات وأمثالها : لبيب السعيد : الجمع الصوتى الاول للقرآن ص ٢٩ - ٦٣ (ط المعارف بمصر) .

La Vie de Mohamet ، فقد وقع فى الاصل والترجمة ـ عن وعى أو غير وعى ـ تغير قلب الشكل تماما .

والموءلف هنا ـ بغير علم ولا هدى ولا أدب ـ يتجرم على النبى (ص) ومعه زوجاته أمهات الموءمنين ، ويتنقصهم . وهو ـ حتى فى هذا ـ لم يأت بجديد ، فقد سبقه بعض أعداء الاسلام ـ قدامى ومحدثين ـ الى هذا الشر ، ثم ذهبت دعاويهم وحججهم أباديد .

ـ ٤ ـ

كان لابد اذن ـ فيما يقرر كابورنا ـ من اللجوء الى الحل الوحيد المستطاع بزعمه ، وهو الانطلاق من نقطة الصفر .. كما عبر .

ولا نكتم اننا لا نكاد نفهم على وجه القطع مقصود الموءلف هنا ، ولا نراه اتبع منطقا صائبا أو سلك طريقا موصلة .

ويوضح الموءلف خطته ، فيذكر أنها :

أولا : جمع أكبر عدد ممكن من المعطيات الاساسية الممكن أخذها من القرآن "فى نصه الحالى " ، وا نظر هنا كيف يلمع الموءلف بغير حق الى أن للقرآن نصوصا متغايرة منها هذا النص الحالي !!

ثانيا : تطبيق لغة الارقام على كل نص يمكنه قياسه ، وذلك من بين الآيات فى خمسين سورة من قصار السور المكية حيث ان هذه السور هى ـ غالبا ـ الاقصر والاقدم ، ومن شأن هذا القصر أن يتيح لنا الانتقال من البسيط الى الاقل بساطة ، ومن الأقدم الى الأقل قدما .

وعندنا أن هذا التضييق المتعمد فى تحديد النصوص القرآنية المظنون امكان اخضاعها لمقاييس الشعر هو الشهادة من كابرونا على نفسه بأن فكرته مرسلة فى عموم مطلق يجافى العلمية .

ثالثا : وفى نهاية هذا الشوط الطويل ، سنرى ـ وهذا طبعا كلام كابرونا ـ الدراسة تكشف عن اتجاهات تسمح بتفسير المعطيات المجموعة تفسيرا عميقا دقيقا .

وكلام كابرونا هنا عسير الفهم مبهم المقصود ، وكأننا به يريد أن يصرح بأن القرآن أو — على الاقل — بعض القرآن ظلت معانيه العميقة والدقيقة مستغلقة على البشر طوال القرون، لا ينفع فيها حرث حارث مهما يكن بصيرا باللغة والادب ، خبيرا بالطبائع والنفوس ، عليما بأصول البحث وطرائق الاستنباط، وذلك كله انتظارا للفكرة الكابرونية الخارقة !!

ويذكر المؤلف أيضا أنه استعان فى عمله المقاييس الآتية :

أ — عدد الاسطـــر .

ب— مواضع الوقف عند الفواصل ذات الحروف الموحدة الآخر .

جـ— عدد التفعيلات فيما بين موضع وقف وموضع وقف آخــــر .

د — عدد تقاطيع الكلام طويلها وقصيرها .

هـ— عدد النبرات الصوتية .

و — عدد حروف المد الطويلة .

ز — مقدار الفترات الزمنية المتساوية التى يستلزمها الكلام .

— ٥ —

وعند كابرونا أن النصوص القرآنية — مثل النصوص النثرية القديمة — تحتوى على ما يسميه هو تحديدا ذا دلالة خطية definition lineaire

ويستطرد كابرونا شارحا ، فيقول ان الخـــط هنا يقابل شطـر البيت فى الشعر ، بفارقين هما:

١) عدم التقيد بالبحور الشعرية التقليدية Distiques ، ولا بالسواكن الخطية Constantes Lineaires المعروفة فى النثر الموصول Prose Continue

٢) وأن الجمل القرآنية تتجمع فى مقاطع Strophes متنوعة ومتكررة ، بينما المقاطع فى النثر المنفصل لا تتكرر .

وفى اللغة العربية — هكذا يقول المؤلف — تقع فى ختام الجملة ظاهرة صوتية تسمى الوقف أو السكت la pause

ويقول انه لم يعدّ السجعة من مقاييس الايقاع القرآنى Parometres du rythme Coranique ، ولكنه عدّ من هذه المقاييس الوقفة المسجوعة La pause rim ee

ويستخلص المؤلف من دراسته للوقف الذى يكون عند السكون Constante وعند السجعة rime ، التى تكون فى نهاية الجملة ... يستخلص أن تقسيم النص القرآنى الى آيات على أساس السجعات ، وأن الفصل بين معانى الجمل فى القرآن على نفس الاساس ... هذا وذاك لايصلحان نبراسا للترقيم المقبول .

أما السور المتضمنة كثيرا من السجع والجناس : فتحديد مواضع الوقف والسكتة فيهايحتاج الى تحليل دقيق .

على أن فى بعض السور حيث ترتبط السجعة بموضع الوقف يمكن ــ فيما يرى كابرونا ــ اكتشاف مضمون الجملة وتقييمه (١)

وتتعاقب ــ فيما يرى أيضا ــ مقاطع التفعيلات Syllabes الطويلة أو القصيرة ، ويمكن التبادل الحر فيما بين تفعيلتين معروفتين فى الشعر التقليدى أيام نزول القرآن ، ثم ان هناك حالات يقع فيها "الخبن" (وهو اسقاط الحرف الثانى فى العروض) ، وتتداخل التفعيلات على غير اتفاق مع قواعد وزن الشعر .

ويقرر المؤلف أنه ــ فى السور التى حللها ــ وجد :
أربع عشرة صيغة من وزن "متفاعلن" .
وست صيغ من وزن "فاعلن" .

ومعنى هذا ــ عند المؤلف ــ أن مجموع الاحتمالات الممكنة قد وجدت كلها تقريبا .

وثمة حالات "خبن" و "ادغام" تقابل الاختصار الذى قد يقع فى أوزان الشعر فى البحور التقليدية .

والقرآن ــ فيما يقرر المؤلف ــ حافل بالشعر ، وكل ما بينه وبين الشعر العادى هو أن القرآن يتمتع بحرية تامة فى تداول التفعيلات المختلفة،وادخال "الخبن" عليها ، وادغام بعضها فى بعض عند الترتيل .

على أن هذه الحرية قد تخل بالتناسب Module ، وقد تشيع بعض الابهام .

---

(١) أقر المجمع اللغوى لفظ "التقييم" بمعنى"التقويم" أى اعطاء القيمة للشىء .

ودفعا لهذا ، رأى المؤلف ان يضع للوزن الشعرى لوحة تسجل فيها الايقاعات المستعملة كأداة للوزن سواء أكان الموزون سطرا أو جملة أو مقطعا ، ثم يحصى المؤلف مرات ترداد كل نوع من الايقاعات .

وقد جاءت النتيجة – فيما يقول كابرونا – ايجابية مرضية :

ففى عشرين سورة درسها المؤلف وجد :
أ) أن ثمانية عشر نموذجا من اللوحات يخالف بعضها بعضا .
ب) وأن ٨٢ ٪ من هذه النماذج مركبة أو معقدة التركيب .

وأستخرج المؤلف من تلك اللوحات المعقدة لوحات متعددة مابين مجزأة وموزعة ، وما بين مقطعة وموزقة وممزقة .

ومهما يكن من شئ ، فالقضية عند المؤلف – ليست قضية وزن شعرى بالمعنى المجرد ، وانما القضية قضية التماسك أو هى قضية "جمال النسب" esthetique de proportions

وهذه الطريقة المقياسية الشاملة وذات الابعاد المتعددة والتى تميز النص القرآنى هى التى تعطينا ايضا القدرة على دراسة النثر العربى التقليدى الشبيه بالقرآن فى الايقاع الكمى .

وهكذا ينقض كابرونا فكرته ، فينفى – تباعا كما رأينا – عن القرآن الكريم خضوعه لقيود الشعر المعهودة ، ولكنه مع ذلك،ومع ترخصه برغمه فى تلك القيود واحدا بعد واحد – يظل متشبثابفكرته الخديجة المتهاوية أن تنقطع أنفاسها تماما ، فيقول فى مكابرة متخاذلة ان المعول فى الشعر هو على "جمال النسب" لا على دقة الوزن الشعرى .

– ٦ –

وفى شأن الغنة فى القرآن ، وهى عند المؤلف مشكلة سعى هو – كما يقول – الى حلها عن طريق اجراءات أربعة :

(أولها) اتخاذ النسق العربى التقليدى أساسا .
و(ثانيها) فى شأن الاختلاف حول طبيعتها بين وزانى الشعر وبين أنصار اللهجات المحلية بتعريف وضعه بروكلمان Brockelmann عن الغنة فى

اللغات السامية القديمة .

و(ثالثها) تسجيل عدد من النصوص العربية التقليدية فى (معمل الصوتيات) . ويقول المؤلف : ولئن كانت هذه التسجيلات لم تكشف عن كيف كان الحجازيون ـ على عهد النبى (ص) ـ ينطقون بهذه النصوص ، انها ـ على الاقل ـ ذات دلالات مهمة .

و(رابعها) تخصيص لوحة ذات شكل خاص استنبط منها المؤلف ان تراتيل الاوزان العربية تنشأ من تنسيق المجموعات بعضها مع بعض ، كما أفاد منها المؤلف معرفة دقيقة بقواعد الغنة فى القرآن .

وقد أثنى المؤلف هنا على مفهوم هذه الغنة عند بروكلمان ، وشرح هذا المفهوم .

وذكر المؤلف عن الغنة فى التسجيلات الآنفة الذكر أنها قد تكون حادة Tonique تجتمع فيها الشدة Intemite الى الارتفاع Hauteur ، وقد يكون فيها تلحين Intonation لجمل نازلة Descendantes ، وقد تعين على التنبوء بنوع من الايقاعات المسيطرة فى اللغة العربية التقليدية .

وقرر المؤلف فى نهاية كلامة عن الغنة فى القرآن أن كل ما أهمه فى محاولته تلك هو الوصول ـ عن طريق اللوحات السالفة الذكر ـ الى ما يمثل نوعا نموذجيا من التركيبات الايقاعية فى القرآن Typologie des structures

ـ ٧ ـ

وثمة لوحة مقياسية أخرى وضعها المؤلف لقياس المد فى الحروف الخاصة به أو فى المقاطع الطويلة . ويخضع هذا المقياس لقاعدة وزن التفعيلات فى اللغة العربيـــة التقليدية . وقد استنبط المؤلف من هذه الطريقة ـ فيما يقول ـ أن المقطع الطويل يعادل ـ فى المدة الزمنية ـ مقطعين صغيرين .

ويقول المؤلف ـ عودا على بدء ـ ان القضية هنا ايضا ليست قضية وزن التفعيلات ، ولكنها قضية اظهار حساسية اللغة العربية ازاء التناغم الصوتى .

ـ ٨ ـ

وعلى رجاء من المؤلف ان يتقبل القارىء طرائق اللوحات القياسية بقبول حسن ، سرد المؤلف ما فعله فى شأن ثلاث سور هى : عبس ، والقيامة ، والحاقة .

فسورة عبس ، وقد قسمها المؤلف الى مجموعتين تنتهى الاولى منهما عند قوله تعالى : "ثم اذا شاء أنشره" (الاية ٢٢) ، يسوق المؤلف بيانات هى أقرب الى الابهام منها الى الايضاح ، يقول :

أ) هذه السورة أحادية الوزن Monometrique

ب) وذات طبقات منفلقة بعضها عن بعض Clive

جـ) ويمكن تحديدها تحديدا خطيا متناوبا ومؤلفا من (١٠ + ١٢) + (١٠ + ١٢) ، بمعنى أن فيها الوقفات المسجوعة بشكل (٥ + ٦) + (٥ + ٦) ... الخ .

د) وفى السورة من وحدات المسافة خمس وثلاثمائة وحدة مكررة مرتين .

هـ) ويذهب المؤلف الى أن هذه السورة تمثل ما يسميه هو "المقياس الخطى الشامل" لان كل المقاييس فيها تؤدى عملها مشاركة .

ز) واللوحات الثلاث الخاصة بهذه السورة ، وهى :

١) لوحة قياس التناسب الكمى Module

٢) لوحة النبرات ذات المدود الطويلة التى يحدثها طول المقاطع أو طول حروف المد . Syllabe

٣) لوحة التناغم Harmonique التى تقيس الشدات والمقاطع والمسافات ...

هذه اللوحات كلها تعطى نتائج رقمية موحدة .

وظاهرا أن كل ما تقدم هنا من التعبيرات والارقام الحسابية هو مما لا يسيغه الفكر الاسلامى عن القرآن الكريم .

وربما كانت هذه التعبيرات وأمثالها هى مما اعترف به المؤلف فى بدء رسالته ، وفى ختامها ، من أنها تتأتى على التعريب لكثرة ما هو محشود فيها من "تقنيات" .

وهذه اللوحة وأمثالها ــ فيما يدعى المؤلف ــ أكدت له نفعها الكبير فى الاستيثاق من وحدة أجزاء النص .

ح) وعند المؤلف أن هذه السورة هى وحدها من بين السور التى حللها : تخضع فيها البسملة لنفس ما تخضع له آيات السورة من ايقاعات . وهذا ــ فيما يقول المؤلف ــ دليل على أن هذه البسملة لم تكن موجودة فى الأصل ، وانما أضيفت مؤخرا

ط) ويقول المؤلف ان هناك توافقا محيرا Vertigineuse بين النتائج فى لوحات المقاييس الشعرية . وهذا ما قد يؤكد أن القرآن أنزل فعلا على هذا النسق الشعرى الممكن تصويره صوتيا ، والذى يكشف عن أن كل مسافة طويلة تعدل مسافتين قصيرتين على نحو ما هو مقرر فى الشعر التقليدى .

ــ ٩ ــ

أما سورة القيامة ، وهى ــ فى نظر المؤلف ــ سورتان اختلطتا إحداهما بالأخرى (١) :

فقد أثبت تحليلها ــ فى نظر المؤلف ــ أنها قسمان :

(الاول) يتكون من الآيات الثلاث عشرة الأولى ، أى التى تنتهى عند قوله سبحانــــه : "ينبئوا الانسان يومئذ بما قدم وأخر" .

و(الثانى) يتكون من الآيات ١٢ ــ ٢٥ ، أى من قوله تعالى : "وجوه يومئذ ناضرة" الى قوله : "تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ" ، ثم الآيات ٣٦ ــ ٤٠ ، أى من قوله : "أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى" الى نهاية الســورة .

ويرى المؤلف أن كل قسم من هذين القسمين ، أو ــ كما يدعى ــ كل سورة من هاتين السورتين تتألف من ٢٦ سطرا ، وفيها ١٣ وقفة مسجوعة ، وأن السورتين كلتيهما تتجاوبان .

وهنا يقول المؤلف ــ فى تسليم ــ ان هذه الدقة فى هذا التساوى تثير مشكلة القول بأن القرآن وحى ، وهو يقول ما نصه : "أقر بأنى لا أستطيع أن أتصور محمدا جالسا أمام مكتبه يدبّج نصيّن كهذين ، فيسوى بينهما فى العروض تماما ، ويخضعهما لمقاييس شعرية موحدة ، ويصوغ منهما نصين متوافقين ومتساويين" .

ــ ١٠ ــ

وأما سورة الحاقة (٢) ، ففيها ــ فيما يرى المؤلف ــ خمسة عناصر يسمى هو كل واحد منها بحرف من هذه الحروف A – B – C – D – E ، ويطلق على كل منها عبارة "الوحى الأوّلى" Oracle Elementaire

(١) انظر ص ٣١٣ من الرسالة .
(٢) انظر ص ٤٥٦ وما بعدها من الرسالة .

وهذه العناصر ــ فى شكلها البسيط من حيث التكوين الايقاعى ــ يحمل كل منها كل الذى تحمله سورة قائمة برأسها .

ويرى المؤلف أن العنصرين E, A مستقلان كل منهما عن الآخر من حيث المعنى والمبنى .

أما باقى العناصر ، وهى B. C. D. ، فمع أنها ــ من حيث الوزن ــ مستقلة بعضها عن بعض ، فانها ــ فى مجموعها ــ متكاملة ، وآياتها المتعددة متوافقة كلها من حيث المعنى .

ويتكلم المؤلف هنا فى تفصيل موسع عما يرى لكل من هذه العناصر من خصائص ايقاعية .

ويمضى فيقول : ان كل هذه العناصر تتمازج لتعطى سورة أو ما يسميه هو : نشـــــيدا إلـهيا Hymne

وفى هذه السورة ، أو فى هذا النشيد الالـهى ، يرى المؤلف الآتى :

أ) أن بها ٧٣ سطرا مقسمة هكذا : ٥٩ + ١٥ + ٢٩ .

ب) وأن فيها ٤١ وقفة مسجوعة موزعة هكذا أيضا : ١٦ + ٩ + ١٦ . وتتركز هذه الوقفات حول الآيات ١٨ ــ ٢٧ ، أى من قوله تعالى : " يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ " حتى قوله سبحانه بلسان من أوتى كتابــه بشماله : " يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ " .

ج) وأن الايقاع الاساسى لهذه السورة هو ايقاع بسيط يتألف من ٨٤ + ٤٤ + ٨٤ = ٢١٢ نغمة متغايرة Module

د) أن عدد الغنات فىالسورة هو ١٠٨ × ٢

هـ) وأن لوحة المدود تواكب لوحة الغنات والايقاعات .

ــ ١١ ــ

والمؤلف يسمى السورة المؤلفة من عدة أوزان شعرية : سورة ذات أوزان متعددة Poly Metrique

وقد كان المؤلف يميل ــ حسبما يقول ــ الى وصف هذه السورة بعبارة : ذات صوتيات متعددة Poly Phonic ، ولكنه ــ كما يقول أيضا ــ لم يجد بين يديه البراهين الكافية التى تقطع بهذا الوصف ، ولذلك آثر أن يشبّه تلك الاوزان المتعددة بجوقة موسيقية

تضم مجموعة من العازفين ، ولكن كل واحد منهم يستقل أصلا بجزء معين من المعزوفة .

وعندما يجد المؤلف أن فى القرآن تلك الأوزان المستقلة بعضها عن بعض وهى — مع ذلك — تسهم فى ايجاد تناغم يبدو وكأنه صادر من المجموعة كلها ... عندما يجد المؤلف هذا يتحدث عن سيمفونية Concerto فى القرآن ، ولكنه لا يلبث أن يعدل عن رأيه وينفى عن سورة الحاقة صفة السيمفونية ، ويقرر أنها (أى سورة الحاقة) تعبر غالبا عن فصول درامية متتابعة هى التى تعطى المعانى الشجية الحقيقية .

— ١٢ —

ويرى المؤلف أن لابد من دراسة فى تفسير النصوص القديمة أو تفسير المرموز L' hermeneutique ، فى سور القرآن . ويقرر أن هذا هو مادعاه الى تحديد ثلاثة مستويات ايقاعية فى كل سورة من السور المتكاملة ، وهذه المستويات هى :

١) مستوى الأدوات التى تحدث "الوحى الاولى" الذى أشار اليه المؤلف قبلا Oracle elementaire

٢) مستوى قياس الأبعاد الشاملة فى المجموع الواحد .

٣) وأخيرا مستوى التفسير المتعلق بالموضوع .

وبما أن هذا التركيب يثير بالضرورة التفكير فى صيغ المقطوعات الموسيقية الاوروبية الكبرى ، فقد رأى المؤلف أن يوازن بين السورة المتكاملة وبين النشيد الدينى ، معتمدا على المفردات الموسيقية القادرة بنفسها على توضيح خصائصها الموسيقية .

وقد أطلق المؤلف على السورة المتكاملة ذات الجزئيات المقصودة ، وذات النصوص المتقاربة ... أطلق عليها وصف Reitérатif أى المتكررة ، وهو هنا يوضح أن الامر لا يعدو أن يكون وسيلة مرنة تفسر الرموز ، وتغنى عن ابتكار مصطلحات معقدة ولا جدوى لها .

— ١٣ —

وقدم المؤلف تلك السور الثلاث كأمثلة يدرك منها القارئ كم تقدم المعطيات القرآنية من تراكيب ايقاعية معقدة .

على أن هذه الامثلة — فيما يرى المؤلف نفسه — ليست غاية ما حواه القرآن من تراكب ايقاعى وانما هى القليل الذى يرشد الى الكثير .

والقرآن شامل لكل النماذج ذات التصنيفات الصوتية المختلفة ، ففيه :

١) النصوص المتوازية والمتماثلة •
٢) والنصوص المتجاورة فحسب •
٣) والنصوص المصنوعة أو المعدة •

ويحاول المؤلف أن يصل الى نتائج تخالف ــ كما يقول ــ النظريات التقليدية المعروفة ، ولذلك يفسح فى مطالع كتابه لفصلين يبسطان مجال المناقشة •

ويدور أول هذين الفصلين حول محمد نفسه (ص) •

ويدور الثانى حول تقاليد النبوة فى العرف السامى الذى يعتبر محمد نفسه متمما له •

وفى الواقع ، كيف يمكننا ــ هكذا يتساءل المؤلف ــ أن نضرب صفحا عن شخصية الرجل الذى حمل لواء كلام أثبت التحليل الايقاعى اعجازه وتميزه عما سواه ؟ •

ويقول المؤلف :
"وكان حقا علينا أن نبذل جهدا جهيدا فى محاولة تفهم ذلكالرجل الذى ظل قرونا متطاولة محكوما عليه بالابعاد عن خيال المسيحيين" •
ويقــول :
"وان القارىء الغربى لايستطيع اليوم أن يبدأ هذا التفهم الجديد انطلاقا من المنابع العبرانية التى كانت مددا للديانتين المسيحية والاسلامية" •

وقد ذهب استخراج النصوص العبرية من مراجعها بالمؤلف فى أحيان عديدة مذاهب بعيدة ، ولكنه مالبث أن قدر محاولة استكشاف الحقائق حول ظاهرة النبوة التى هى موضوع انسانى عام يقتضى تخطيطا مناسبا لطبيعتها Phenomenologie

ــ ١٤ ــ

ويقرر المؤلف أن توسعه ذاك لا يجوز أن ينسيه أن رسالته هذه هى ــ فى الصميم ــ مجرد عرض منهج ، والدليل على صحته بالنموذج العملى ، مصداقا لمقولة أحد علماء الطبيعة وهو فريجوف كوبرا Fritgof Capra : "ان كل نظرية وكل نموذج تطبيقى لها : هما ــ على نحو ما ــ دنو من الحقيقة الطبيعية ، واذا كنا ــ فى ممارستنا لهذا الدنو ــ نقع فى شىء من الخطأ فهو الخطأ الشديد الضآلة ، والذى يبقى معه لهذه الممارسة معنى مفيد (١) •

(١) نقلا عن The Tao of physics - Chancer Press (1971) P. 304

ويعتقد المؤلف أن طريقته تلك سيعلو قدرها كلما انتهجها باحث مؤهل فى الكشف عن حقائق كتاب يجمع آلاف النصوص منذ آلاف السنين .

ويعتقد المؤلف بالمثل أن رسالته التى جمعت نتائج منهجه فى شكل تركيب موحّد ستزداد أهمية ودقة كلما أعطت عن الحقائق تفسيرا أدق ...

ومع ذلك فليس يغيب عنا – كما يقول المؤلف – أن الرسالة هى – بحكم طبيعتها – مجرد فرض نسبى يقبل التعديل والتصحيح والتكميل .

– ١٥ –

ويلخص المؤلف ما قدمته تلك الرسالة فى الآتى :

أ) أن النص القرآنى له أبعاده الشاملة ، بمعنى أن تحديد بِنْيته أمر تتدخل فيه سائر هذه الأبعاد .

ب) أى أن القرآن نموذج كامل لا ترى له نظيرا ، وما هو بشعر وما هو بنثر ، وليس ذلك بالنسبة للغة العربية التقليدية Classique وحدها ، ولكنه بالنسبة للغات الدنيا قاطبة .

ويقول المؤلف ان ما ذكره من أن للقرآن أبعادا شاملة ليس من باب الفروض العلمية التى يفرضها الباحث عادة قبل مباشرة بحثه ، ولكنه أمر واقعى ونتيجة مركبة أتسقت له من مجموع نتائج تحليلية .

ج) وبالمثل : يؤدى مبدأ الأبعاد الشاملة بدوره الى نتائج ذات أهمية بالغة ، حيث تؤكد القرآن كنموذج بالوصف السابق ، وحيث تفيد فى تفسير الوقائع ، وذلك على ثلاثة مستويات : مستوى حل الرموز ، ومستوى نقد النصوص ، ومستوى تفسيرات النصوص .

ويتكلم المؤلف هنا فى اسهاب عن هذه المستويات وآثارها ويستطرد الى الكلام عن الاشتقاق Etymologie فى اللغات السامية ، وكيف أنه يمكن توليد مفردات كثيرة من الاصل الثلاثى لكل كلمة .

د) ويرى المؤلف استحداث نسق من الترجمة ، وهو نسق وضع له المؤلف – من عنده – قواعد لا نظنها نحن دقيقة ، ولا نظنها منضبطة ، لان المؤلف بالطبيعة لا يحذق أصول النطق القرآنى التجويدى ، فضلا على أنه ليس من أبناء الضاد أصلا . وسنورد لهذا بيانا أطول ان شاء الله .

ويقول المؤلف – فى شأن الترجمة الحرفية – انه ليست هناك ترجمة نهائية قط ، وانما هناك صيغ تتجدد فى كل عصر ، لتعبر عما يعتقد أهل العصر أنهم فهموه من النصوص الاصيلة الرفيعة .

وهذا ــ فى رأينا ــ قول لا يخلو من صواب بالنسبة لبعض الموضوعات .

ـ ١٦ ـ

ولكن المؤلف لا يلبث أن يقول ان العلماء المسلمين تنوعت آراؤهم فى القرآن تنوعا أكبر بكثير مما هو فى الترجمات التى قدمها المستشرقون ، وان هؤلاء المسلمين ينزلقون أحيانا الى التراث الشعبى Folklore : يأخذون منه لترجماتهم ، وان ثمة حالات تؤكد ترجمتها التقليدية أنها صدى لقرآن آخر غير هذا القرآن الذى بين أيدينا

ولا يجد المؤلف حجة يؤيد بها دعواه ، فينكص على عقبيه ، ويقول فى تخاذل انه لا يملك الادلة الكافية لاثبات دعواه ، ولذلك فهو يغض الطرف عنها .

وهو يكرر أن كل ما يعنيه هو استخراج معان موضوعية تسمح بالحكم على النصوص القرآنية كما بلغته دون النظر الى كاتبها الظاهر أو الباطن ، ولا الى استعمالاتها الواقعية .

ويقرر المؤلف ان تلك الترجمات ، وما تثيرها من مشكلات ، وما تقتضى من اختلاق المبررات تجعل القارئ يعتقد أن تلك الترجمات الغربية السامية Ouest Samitique (وهو يعنى هنا ترجمة معانى القرآن) هى نصوص صعبة ، وأنه (أى المترجم) حين يتحدث عن مؤلف هذه النصوص (والذى لا يستبعد أن يكون هو النبى محمدا ــ ص ــ) ، فانما يسوق كلاما لم ينضج بعد ، وليس فى الوسع اخضاعه للدراسات الادبية التى اعتادها الناس ، وأنه (أى المؤلف) ــ فيما يقول ــ انما يستوحى النصوص المتناقلة بين البشر Transpersonnel وان كانت مجهولة المصدر ، وبذلك يجتنب المؤلف ــ فيما يقول ــ اتخاذ قرار فى شأن القرآن ، وهل هو من عند محمد ، أم هل هو من عند الله ؟

ويقول المؤلف : انه تقيد بالحياد ، وانه لذلك لا يعبأ بالنقاد .

وهو يذكر أن موقفه يعتمد على أساس ، هو أن أهل الاديان السماوية : اليهود والنصارى والمسلمين لا يحتاجون أن يتدخل بعضهم فى ديانات بعض ، ولكنهم يحتاجون فقط أن يفهم بعضهم بعضا فهما صحيحا ، وأن يستبدلوا بالمجابهة الحربية سماحة ذكية تظلهم بأخوة حقيقية ، باعتبار أنهم جميعا أتباع ملة أبيهم ابراهيم : الملة الثرية السخية .

— ١٧ —

ويظن المؤلف أن ما صنعه — فى شأن وزن الآى القرآنية وزن الشعر — هو المحاولة الاولى من نوعها ، وأن عمله — من حيث الدقة — هو أشبه بعمل صانعى الساعات — ولذلك فهو يتمنى أن يعترف الناس بصنيعه سواء منهم من يهونون من شأنه ، ومن يقدمون — فى هذا الباب — خيرا مما قدم .

وهو يأمل اذا حلت المشكلة التى يسميها مشكلة الايقاع فى القرآن ، أن يصبح فى الامكان ترجمة القرآن وتفسيره ، على نحو ينقل الناس من ميدان الاختلاف الى ميدان الائتلاف

— ١٨ —

ويسرد المؤلف مراجعه،فنرى بينها المريب الذى لا تقبل لأصحابه شهادة فى الاسلام ، أو فى كتاب الاسلام ، أو فى نبى الاسلام : نرى بينها كتابات بلاشير Blachere ، وكازانوفا Casanova ، وجولتسيهر Goldziher ، ونولدكه Noeldeke ، وجفرى Jeffrey ، وبروكلمان Brockelmann

وبلاشير هو الذى ترجم معانى القرآن الى الفرنسية ،فرتب السور والآيات على ماظنه ترتيب النزول ، مجانبا ما فعله النبى (ص) بتوجيه الوحى ، وما سار عليه المسلون طوال القرون

وكازانوفا هو الذى زعم أن الجمع العثمانى للقرآن هو مجرد أسطورة نسجت خيوطها أيام الخليفة الاموى (عبد الملك بن مروان) للاشادة بعثمان بن عفان الذى لف عرقهم بعرقه جدهم وجده أمية بن عبد شمس .

وكازانوفا نفسه هو الذى قال ان أول من جمع القرآن هو الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٩٥هـ أى بعد وفاة النبى (ص) بنحو خمس وثمانين سنة (١) .

وجولتسيهر هو الذى زعم أن قراءات القرآن ليست عن توقيف ورواية ، وانما هى عن هوى من القراء ، ورغبة منهم فى أن يرضوا مقاصدهم وأفهامهم وأذواقهم (٢) .

---

(١) انظر : لبيب السعد : دفاع عن القراءات المتواترة فى مواجهة الطبرى المفسر ص ٢٩ .
(٢) مذاهب التفسير الاسلامى — الترجمة العربية ص ١٠ و ١١ .

وهو الذى أورد فى كتابه "مذاهب التفسير الاسلامى" شواهد خاطئة كأمثلة للاختـــلاف الناجم ــ بزعمه ــ عن الخطأ فى القراءات (١) .

وهو الذى زعم باطلا أن اليهودية شاركت فى تأسيس العلم الاسلامى (٢) .

ونولدكه من قبل هو الذى أنكر بعض ألفاظ القرآن ، وخبط فى هذا خبطا عجيبا ، فمثلا :

أوائل بعض السور ليست ــ فى رأيه ــ الآ الحروف الأولى أو الأخيرة من أسماء بعض الصحابة الذين كانوا يحــوزون نسخا من سور قرآنية معينة ، وعلى سبيل المثال :

السين ــ فيما يدعى نولدكه ــ من "سعد بن أبى وقاص" .
والميم من "المغيرة" .
والنون من " عثمان بن عفان" .
والهاء من "أبى هريــرة"

ونولدكه نفسه هو الذى أكّد بالباطل أن القراءات نشأت بعد ظهورالنقط ، أى بعد انقضاء عهد الصحابة فضلا عن عهد النبى (ص) .

وجفرى هو ناشر كتاب "المصاحف" لابن أبى داود السجستانى ، والمعقّب عليه بالمفتريات . ومن ادعاءات جفرى فى مقدمته لهذا الكتاب : أن المصاحف المكتوبة الأئمة ــ لخلوها من النقط والشكل ــ كانت تدعو القارئ ــ فيما بعد ــ أن يتولى بنفسه نقط النص القرآنى وضبطه بالشكل ، على مقتضى ما يفهمه هو من معانى الآيات . والمثل لهذا ــ فيما ادعى ــ كلمة "يعلمه" ، فقد كان الواحد ــ حسب هذا الزعم المفترى ــ يقرأها : "يعلمه" ، والآخر : "تعلمه" ، والثالث : "نعلمه" ، والرابع : "يعلمه" ... الــخ .

ومعنى هذا ــ فيما يوهم كلام جفرى وأمثاله ــ أن القراءات ــ هى من عند النـــاس ، وبحسب تأويلاتهم ، وبحسب ما يختارون من علامات الشكل ، فضلا عما يختارون من حروف .

---

(١) أنظر : لبيب السعيد : الجمع الصوتى الاول للقرآن . عرض ودراسة لبواعث المشـــروع ومخططاته ص ١٥٩ .
(٢) أنظر فى الرد عليه : المرجع السابق ص ٢٦٨ .

ويزعم المؤلف أنه أول من حاول دراسة التكوينات الايقاعية فى النص القرآنى ، وهو — فى هذا — واهم تماما :

فالمسلمون يروون أن نبيهم (ص) رؤى يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح ، فرجّع فيها ، وكانت صفة ترجيعه : آ ٠٠٠ آ ٠٠٠ آ ٠٠٠ ثلاث مرات (١)

وظاهر أن هذا الترجيع كان اختيارا لا اضطرارا ، لهز الناقة له ، وكما يقول ابن قيم الجوزية : كان النبى يرجع فى قراءته ، فنسب الترجيع الى فعله ، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعا (٢) .

والمأثور عن النبى نفسه (ص) : أنه كان فى كلامه ايقاع نغمى محكوم وغير محكوم . عن جابر بن عبد الله : "كان فى كلام رسول الله (ص) ترتيل وترسيل" (٣) .

وكان من أصحابه (ص) من يقرأون القرآن بايقاع نغمى :

كان عمر يقول لأبى موسي الأشعرى : ذكرنا ربنا ، فيقرأ أبو موسى و"يتلاحن" (٤) .

وفى الوسع تأييد احتفال المسلمين — منذ فجر الاسلام وضحاه — بالايقاع النغمى بأمثلة كثيرة ، ولو أنهم كانوا يعبرون غالبا عن جمال هذا الايقاع فى تلاوة القرآن بتعبير اجمالى واسع هو حسن الصوت بالقرآن ، وذلك تنزيها للكتاب العزيز عن تعبير يدور — أكثر ما يدور — حول الغناء .

وفى التأريخ لقراءة القرآن بالألحان — وهى قراءة ايقاعية بطبيعتها — يقول ابن قتيبه : أول من قرأ بالالحان : عبيد الله بن أبى بكرة ، وكانت قراءته حزنا — أى فيها رقة صوت — ليست على شئ من ألحان الغناء ولا الحداء .

(١) انظر : البخارى : الصحيح باب ذكر النبى (ص) وروايته عن ربه ، وانظر : ابن حجر العسقلانى : فتح البارى جـ ١٣ ص ٤٤٠ ، ٤٤٢ ط محب الدين الخطيب .
(٢) زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٩٧ (ليدن سنة ١٣٢١) .
(٤) زاد المعاد جـ ١ ص ١٣٤ .

فورث ذلك عنه ابن ابنه : عبد الله بن عمر بن عبيد الله .

وأخذ ذلك عنه الاباضى .

وأخذ سعيد العلاف وأخوه عن الاباضى قراءة ابن عمر .

وكان هارون الرشيد معجبا بقراءة سعيد العلاف ، وكان يحظيه ويعطيه، ويعرف بقارئ أمير المؤمنين .

وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، وغيرهم يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء والحداء والرهبانية .

فمنهم من كان يدس الشئ من ذلك دسًّا رفيقا .

ومنهم من كان يجهر بذلك ، فمن ذلك قراءة الهيثم : " أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ " (الكهف/٨٠) ، سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها .. نعتا يوافق نعتى بعض ما فيها

وكان ابن أعين يدخل الشئ ويخفيه، حتى كان الترمذى محمد بن سعد ، فقرأ على الأغانى المولدة المحدثة، سلخها فى القراءة بأعيانها (١) .

وفى "الاتقان" للسيوطى (٢) ، وفى "بديع القرآن لابن أبى الاصبع المصرى" (٣) : أن من أنواع بدائع القرآن الموسيقية النابعة منه :

الانسجام ، وهو ــ كما يعبر ابن أبى الاصبع ــ : "أن يأتى الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك ، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف ، حتى يكون للجملة من المنثور،

---

(١) المعارف ص ٥٣٣ .
(٢) النوع الثامن والخمسون ، فى بدائع القرآن جـ٢ ص٨٣ ــ ٩٦ ، والنوع التاسع والخمسون فى فواصل الاى جـ٢ ص ٩٦ ــ ١٠٥ (ط هندية بمصر) .
(٣) ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٧٣ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٦٤ ــ ١٦٦ ، ١٦٧ .

وللبيت من الموزون وقع فى النفوس وتأثير فى القلوب" ، ويكاد ـ كما يقول السيوطى ـ "لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة" .

ويقول السيوطى أيضا :
"واذا قوى الانسجام فى النثر جاءت قراءته موزونة بلاقصد ، ومن ذلك ما وقع فى القرآن موزونا" .

فمنه فى بحر الطويل : "فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ" (الكهف / ٢٩) .
ومن المديد : "وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا" (هود/٣٧) .
ومن البسيط : "فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ" (الاحقاف/٢٥) .
ومن الوافر : "وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾" (التوبة/١٤) .
ومن الكامل : "وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (النور/٤٦) .
ومن الهزج : "فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا" (يوسف/٩٣) .
ومن الرجز : "وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا" (الانسان/١٤) .
ومن الرمل : "وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ" (سبأ /١٣) .
ومن السريع : "أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ" (البقرة / ٢٥٩) .
ومن المنسرح : "إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ (الانسان/٢) .
ومن الخفيف : "لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا" (النساء /٧٨) .
ومن المضارع : "يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ" (غافر/٣٢، ٣٣) .
ومن المقتضب : "فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ" (البقرة/١٠) .
ومن المجتث : "نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ" (الحجر/٤٩) .
ومن المتقارب : "وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ" (الاعراف/١٨٣) .

وسنشير فى موضع آخر ان شاء الله الى أن هذا كله لا يعنى أن القرآن شعر ، أو أن صنع الشعر ـ فى حق الانبياء ـ خال من الغضاضة .

وهكذا نرى أن العمل الذى يدّعى دى كابورنا ـ فى مباهاة لا محل لها ـ أنه أول من خاض غماره ، وأن هذا العمل يشبه عمل صانعى الساعات فى الدقة ، هو عمل عرفه المسلمون منذ قرون متطاولة ، ولكن معرفتهم به كانت على وجهها الصحيح دينيا وبلاغيا .

ومن الوسائل الترنيمية الموزونة فى القرآن ، والتى توفر له موسيقاه الذاتيـــة ، والتى تنبه اليها علماء الاسلام ، ودرسوها ، وأبرزوها : التفويـف والتعديد ، والتسميط، والمماثلة،وتوفير الانسجام بين الألفاظ والاصوات .

أ) فأما التفويف ، فهو اتيان المتكلم بمعان شتى من فنون شتى ، "كل جملة منفصلة عن أختها ، مع تساوى الجمل فى الزنة" ومن أمثلته :
" ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ " (الشعراء /٧٨ — ٨١) .

ب) وأما التعديد ، فهو ايقاع الالفاظ المفردة على سياق واحد ، ومن أمثلته : قوله تعالى :
" مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾" (التحريم/٢٤) ؛
وقوله : " ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ " (التوبة/١١٢) .

جـ) وأما التسميط، فهو مشتق من السمط الذى هو خيط العقد ، ومعناه : تنزيل سجعات الاجزاء فى جملة النثر بمنزلة حبّ العقد وقافية البيت أو سجعة النثر أو فاصلة الآية بمنزلة السمط الذى يجمع حبّ العقد ويربطه .

د) وأما المماثلة ، فمعناها : تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها فى الزنة دون التقفية ، كقوله تعالى : " وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾" (سورة الطارق/١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

هـ) وأما توفير الانسجام بين الالفاظ والأصوات ، فمن طرقه وأمثلته :

١) حذف ياء المنقوص المعرّف ، نحو " ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ " (الرعد/٩) — " يَوْمَ ٱلتَّنَادِ " (غافر/٣٢) .
٢) حذف ياء الفعل غير المجزوم ، نحو " وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ " (الفجر/٤) .
٣) حذف الاضافة ، نحو : " فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾" (القمر/٣٠) — " فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ " (غافر/٥) .
٤) زيادة حرف المد ، نحو : " ٱلظُّنُونَا۠ — ٱلرَّسُولَا۠ — ٱلسَّبِيلَا۠" (الاحزاب/١٠و٦٦و٦٧)
٥) ابقاء حرف المد ، مع الجازم ، نحو : " لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ " (طه/٧٧) .
٦) صرف مالا ينصرف ، نحو : "قَوَارِيرَا۠ . قَوَارِيرَا۠ " (الانسان/١٥و ١٦) .
٧) اختيار أغرب اللفظين ، نحو : " قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ" (النجم/٢٢) ولم يقل : جائرة —

" لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾ " (الهمزة/٤) ، ولم يقل جهنم أو النار (١) .

— ٢٠ —

ونعود فنؤكد أن القرآن — وان جاءت بعض آياته موزونة وزن الشعر — ليس بشعر أبدا ، وكما يقول القرطبى فى تفسير : "وما ينبغى له..." : "وجعل الله جل وعز ذلك علما من أعلام نبيه عليه السلام ، لئلا تدخل الشبهة على من أرسل اليه ، فيظن أنه قَوِىَ على القرآن بما فى طبعه من القوة على الشعر ، ولا اعتراض لملحد على هذا بما يتفق الوزن فيه من القرآن وكلام الرسول ، لأنّ ما وافق وزنه وزن الشعر ، ولم بقصد به الى الشعر ليس بشعر ، ولو كان شعرا لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعرا " (٢) .

— ٢١ —

وثمة اعتبارات تنسف فكرة كابرونا نسفا :

فهو — فيما تدل عليه كتابته الضحلة فى مجموعها والمضطربة ، وفيما تنم عنه معارفه القرآنية المحدودة بحكم أنه غير مسلم وغير عربى — لم يحط بالقراءات القرآنية خبرا ، ولذلك لم ينتبه الى اختلافاتها ، لا فى أصولها ولا فى فرشها .

والقراءات التى نعنيها هى القراءات السبع التى تواترت عن شخص النبى (ص) ، ثم الثلاث التى فى حكم المتواترة ، والمكملة للعشر .

وهذه القراءات كلها عند علماء القرآن والحديث والأصول والفقه صحيحة ، وليست وليدة اختراع أو رأى أو اجتهاد ، وكلها متضمنة فى مصحف عثمان الذى أجمع عليه المسلمون ، وقرأوا به وحده على مدى الأزمان .

وصحيح أن الاختلافات فى هذه القراءات يسيرة ، ومحصورة كلها ، ومضبوطة ، ولا زيادة فيها ولا نقص ولا تناقض ، ولكن من المعلوم جدا ، حتى عند العامة ، أن فى أصول هذه القراءات وفى فروعها (أى فرشها) ماليس فى نظائرها من القراءات الأخرى .

---

(١) أنظر امثلة أخرى لتوفير الانسجام بين الألفاظ والاصوات فى القرآن فى كتابنا : الجمع الصوتى الاول للقرآن الكريم ص ٢٦٠ (ط المعارف بمصر) .
(٢) الجامع لاحكام القرآن جـ ١٥ ص ٥٥ .

وبدهى أن هذه الاختلافات ذات أثر كبير أو صغير فى الموازين الشعرية التى وضعها المؤلف غير المسلم وغير الخبير لنصوص التنزيل العزيز، والتى استنبط منها فكرته الغامضة المضطربة القائلة ان دراسة التكوين الايقاعى فى القرآن هى أهدى سبيل الى تفسير القرآن.

وربما كان أدنى أصول القراءات الى موضوع المؤلف هو باب الادغام بما فى ثناياه من كيفيات وأحكام، وباب هاء الكناية، وباب المد والقصر بأنواعهما وكيفياتهما، وباب نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها، وباب السكت على الساكن قبل الهمز وغيره، وباب المذاهب فى ياءات الاضافة، وباب المذاهب فى ياءات الزوائـــد.

أما الاختلافات فى الفروع أو الفرش ذات الآثار الحتمية فى الموازين الشعرية آنفا، فهى مفصلة واحدا واحدا فى مواضعها من الكتب المتخصصة.

وكما أنه لايعنينا هنا من الأصول الا ما يكشف خطأ دى كابرونا، فانه لا يعنينا من الفروع أو الفرش الا ما يتصل ايضا بكشف هذا الخطأ.

— ٢٢ —

وفيما يلى، نلقى نظرات عجلى على بعض الاختلافات فى القراءات أصولا وفرشا :

١) من أصول الادغام فى بعض القراءات :

أ) ادغام القاف فى الكاف إذا تحرك ما قبل القاف، وكان بعد الكاف ميم جمع، لتحقق الثقل بكثرة الحروف والحركات، نحو : خلقكم، ورزقكم، وواثقكم، وسبقكم (١).

ب) ادغام التاء فى عشرة أحرف على تفصيل أوضحته الدراسات المعنية.

جـ) ادغام الباء فى الميم فى قوله تعالى : " يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ " (٢) — "سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ " (٣)

٢) ومن أمثلة اختلاف القراءات فى الحركات والسكنات :

أن هاء الضمير :

أ) تقرأ عند ابن عامر فى رواية هشام : باختلاس كسرة الهاء فى : "لَّا يُؤَدِّهِۦٓ" (آل عمران / من ٧٥ — مرتين).

---

(١) أنظر مثلا : الدمياطى البنا : الاتحاف ص ٢٢

(٢) من مواضعها : المائدة / ٤٠، والعنكبوت / ٥١

(٣) آل عمران / ١٨١

" نُؤْتِهِ " (نفس السورة/١٤٥ — مرتين) .
" نُوَلِّهِۦ" (النساء / من ١١٥) .
"وَنُصْلِهِۦ" (الموضع السابق) .
" فَأَلْقِهْ " (النمل /من ٢٨) .
"وَيَتَّقْهِ" (النور / من ٥٢) .

ب) بينما تشبع حركة الهاء فى قراءة خلف بروايتى اسحق وادريس فى: "يؤده" ، و "نوله" و "نصله" و "نؤته" و "ألقه" و "يتقه" و "يرضه" و "يأته مؤمنا" .

جـ) وهذه الهاء — عند ابن عامر براوية هشام نفسها — تقرأ بأختلاس الضم فى : "يَرْضَهُ لَكُمْ" (الزمر / من ٧) ، وباشباع الكسرة فى "يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا" (طه / من٧٥) وباشباع كسر همزة "اقْتَدِهْ" (ابراهيم / من ٣٧) .

د) هذا ، بينما تقرأ رواية ابن ذكوان ، عن ابن عامر نفسه بوجه الكسر مع الاشباع فى هاء "اقتده" (الانعام / من ٩٠) .

ولا مشاحة فى ان اختلاف هذه القراءات بعضها عن بعض فى الحركات والسكنات يعنى أن أوزانها لا تكون بحال واحدة ، ويعنى أن بعضها ليس موزونا أصلا .

٣) ومن الأمثلة أيضا لاضطراب الوزن الشعرى الذى أجراه دى كابورنا : أن القراءات القرآنية ليست سواء فى النطق بياءات الزوائد وياءات الاضافة :

أ) فرواية هشام عن ابن عامر تقرأ باثبات الياء فى : " ثُمَّ كِيدُونِ " (الاعراف / من ١٩٥) وصلا ووقفا .

ب) بينما تقرأ رواية ابن ذكوان عن ابن عامر نفسه بوجه اثبات الياء فى "فَلَا تَسْـَٔلْنِي " فى (سورة الكهف / من الآية ٧) .

جـ) وتثبت قراءة يعقوب برواية رويس ياء الاضافة فى : " يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ " (الزخرف / من ٦٨) و " يَـٰعِبَادِ فَاتَّقُونِ " (الزمر / من ١٦) .

د) وروايتا ادريس واسحاق عن خلف تقرآن بحذف الياء فى : "دُعَآءِ" فى سورة ابراهيم (من ٤٠) ، وفى : " أَتُمِدُّونَنِ " فى سورة النمل (من ٣٦) .

هـ) وفى سورة الزمر : يقرأ ابن وردان عن أبى جعفر : "يا حسرتى" بالاسكان مع الاشباع ، أى : " يَـٰحَسْرَتَىٰ " .

٤) وفيما يختص بالمـــد :

أختلف القراء فى تقديره :

فمنهم من رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيرا ، ومنهم من بالغ فى القصر ، ومنهم من تزايد :

فحمزة وورش : بمقدار ست ألفات ، وقيل : خمس، وقيل : أربع .

وعن عاصم : ثلاث .

وعن الكسائى : ألفان ونصف .

وقالون : ألفان .

والسوسى : ألف ونصف (١) .

وفى الكتب المتخصصة من مثل "اتحاف فضلاء البشر فى قراءات الأربعة عشر" للدمياطى البنا تفاصيل مطولة عن أحكام المد عند القراء ، ومنها ندرك فى يسر أن أحكام الأوزان التى بنى عليها دى كابرونا كتابه لا يمكن أن تنضبط فى كل الحالات ، أو أن توائم كل القراءات .

٥) ومن الاختلافات فى القراءات التى تفسد فكرة دى كابرونا فى وزن النصوص القرآنية وزن الشعـــر :

أ) أنه فى سورة الروم ، يقرأ هشام عن ابن عامر باسكان السين فى "كِسَفًا" (الآية ٣٧) .

ب) ويقرأ فى سورة الزخرف بوجه التخفيف فى "لَمَّا مَتَـٰعُ " (من الاية ٣٥)

ج) وكذلك يقرأ ادريس واسحاق عن خلف البزار كلمة "لما" بالتخفيف فى كل من هذه السور : هود (من ١١١) ، ويس (من ٣٢) ، والزخرف (من ٣٥) ، والطارق (من ٤) .

د) وعند عاصم فى رواية شعبة : يقرأ فى سورة البقرة بوجه اسكان العين فى "فَنِعِمَّا " (من ٢٧١) ، وكذلك فى سورة النساء (من ٥٨) .

هـ) وبنفس الرواية فى سورة الاعراف (١٦٥) : " بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ " : "بعذاب بَيْئَس" وقرأ نافع : "بِيس" ، بكسر الباء من غير همز، وروى خارجة عن نافع "بَيْس" بفتح الباء من غير همز، مع اسكان الياء ، على وزن فعل (٢) .

---

(١) الزركشى : البرهان جـ ١ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٢) أنظر : ابن مجاهد : السبعة ص ٢٩٦ و ٢٩٧

و) وما الاستفهامية التى دخل عليها حرف من حروف الجر ، وهى فيم ـ مم ـ عم ـ لم ـ بم : تقرأ برواية ابن وردان عن أبى جعفر : فيمه ـ ممه ـ عمه ـ لمه ـ بمه .

ز) وتقرأ رواية رويس عن يعقوب بتثقيل : " وَمَا نَزَّلَ مِنَ ٱلْحَقِّ " فى سورة الحديد (من الآية ١٦) ، وبتخفيف "سجّرت" فى سورة التكوير (الآية ٦) ، وتقرأ "النفاثات فى العقد" (الآية ٤) : النافثات .

ح) وتواتر عند ابن كثير وأبى عمرو أن لفظ "ننسها" فى الآية الكريمة :
" مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ " (البقرة / ١٠٦) يقرأ : "ننسأها" من النسء ، وهو التأخير .
وفرق فى الوزن بين اللفظين .

ط) وفى قوله تعالى : " فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ " (البقرة /٢٧٩) :
اختلفت القراءات فى مد الألف وقصرها من كلمة "فأذنوا" :
قرأ عاصم فى رواية أبى بكر : " فآذنوا " ممدودة مكسورة الذال
وقرأ حمزة كذلك من "آذنه" بكذا : أعلمه
وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابو عمر ، والكسائى ، وابن عامر : "فأذنوا" مقصورة مفتوحة الذال .
وعن أبى بكر ، عن عاصم : أنه كان يقروءها : "فأْذنوا" و "فآذنوا" ممدودا ومقصورا (١) .
وفرق طبعا أيضا فى الوزن بين القراءتين .

ى) وفى قوله تعالى : " فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ " (البقرة/ ٢٨٣) :
قرأ ابن كثير وأبو عمرو : "فرُهُن"
وعن ابى عمرو : " فرُهْن" ساكنة الهاء
وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى وابن عامر : "فرهان" بكسر الراء وبالالف (٢)

ك) وفى قوله تعالى : "وليقولوا درسْت" (الانعام/١٠٥) :

---

(١) نفس المرجع ص ١٩٢ .
(٢) نفس المرجع ص ١٩٤ و ١٩٥

تواتر عند ابن كثير وأبى عمرو : "دارسْت" بألف بعد الدال، وسكون السين وفتح التاء .

وتواتر عند ابن عامر ، وكذا يعقوب : "دَرَسَتْ" بغير ألف ، وبفتح السين، وبتاء التأنيث الساكنة .

وتواتر عند الباقين : "درسْت" بغير ألف وبسكون السين

وليس وزن احدى هذه الكلمات كوزن أخرى .

ل) وفى قوله سبحانه : " إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ " (الاعراف / ٢٠١) .

تواترت "طائف" عند ابن كثير، وأبى عمرو، والكسائى، ويعقوب : "طيف" على وزن "ضيف" .

وفرق – فى وزن الشعر – بين "طائف" و "طيف" .

م) وفى قوله عز وجل : " فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ " (هـود/٢٨) .

تواترت عند نافع وابن كثير وأبى عمر وابن عامر وعاصم فى رواية شعبة، وأبى جعفر، ويعقوب : "فعَمِيت" بتخفيف الميم وفتح العين .

وواضح هنا – بالضرورة – أن الضبطين المختلفين يحدثان وزنين مختلفين .

ن) وفى قوله تعالى فى سورة يوسف : "يَـٰبُشۡرَىٰ" (من الآية ١٩):

تواتر – عند الكوفيين – "يابشرى" بغير ياء اضافة

وروى ورش عن نافع : "يابشراى" بياء ساكنة بعد الألف

وأصحاب ورش يروونها عنه "يابشراى" بياء مفتوحة بعد الألف اضافة الى نفسه، وكذلك قرأها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر

والوزنان هنا مختلفان .

س) وفى قوله تعالى : " وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّـٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ " (الرعد/٤٢)

تواتر عند ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف :(الكفار)بضم الكاف وتقديم الفاء وفتحها جمع تكسير .

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو : "وسيعلم الكـٰفر" على الافراد .

وواضح أن الوزنين هنا لا يتطابقان .

ع) وفى قوله جل شأنه فى سورة الاسراء (الآية ٣١) : " إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا " .
قرأ ابن كثير : "خطآء" ممدودة مهموزة .
وقرأ ابن عامر : "خطأ" بنصب الخاء والطاء وبالهمز من غير مد .
وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى : "خطئا" ساكنة الطاء مهموزة مقصورة .
وواضح ايضا أن لكل من القراءات الثلاث وزنها المخالف لوزن الأخريين .

ف) وفى قوله سبحانه : " فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا " (الكهف/٩٤) ، وقوله تعالى فى سورة المؤمنون/٧٢ : " أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ "
قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو : "لك خرجا" بغير ألف ، وفى "المؤمنون" "خرجا" بغير ألف "فخراج ربك" الأخير بألف .
وقرأ ابن عامر أيضا "خرجا" ، بغير ألف ، وفى "المؤمنون" : "خرجا" بغير ألف ، "فخرج ربك" ، بغير ألف فى الثلاثة .
وقرأ حمزة والكسائى : ثلاثهن بالألف
فاللفظ فى كل من القراءتين له تفعيلته الخاصة .

ص) وفى قوله تعالى : " لِأَمَٰنَٰتِهِمْ " فى سورة "المؤمنون" (٨) :
تواتر عند ابن كثير "لأمانتهم" بغير ألف على الافراد .
وفى قوله عز وجل فى نفس السورة : " عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ "(٩) :
قرأ حمزة والكسائى على صلوتهم" واحدة .
وقرأ الباقون "على صلوتهم" جماعة .
فهكذا الوزن لكل من هذه القراءات مستقل عن غيره .

ق) وفى سور : الحاقه والقيامة وعبس ، وهى السور التى خصها كابورنا بعناية خاصة كما أسلفنا :
نرى بعض القراءات تختلف اختلافا يجعلها لا تتطابق فى الوزن الشعرى أو التفعيلى :
١) ففى قوله تعالى : " وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ (الحاقة/ ٩) :
نرى أبا عمر والكسائى ويعقوب يقرأون : " ... ومن قِبَله" أى أجناده وأهل طاعته .

٢) وفى قوله : " وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ " (الحاقة / ١٤) :
قرئت أيضا : "وحملت" بتشديد الميم للتكثير .
٣) وفى قوله تعالى ، بلسان من أوتى كتابه بشماله : "ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه" .
يقرأ حمزة ويعقوب ، بحذف الهاء منهما وصلا، واثباتهما وقفا .
٤) وفى قوله سبحانه : " مَنْ رَاقٍ " (القيامه/٢٧)
يسكت حفص بخلفه على نون "من" ، بغير تنفس، لئلا يتوهم أنها كلمة .
٥) وفى قوله تعالى : "فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ " (عبس/٦) .

يقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر : "له تصّدى" ، بتشديد الصاد ... أدغمت التاء الثانية فى الصاد تخفيفا ، ويقرأ الباقون بالتخفيف .

فهكذا يتحطّم دليل المؤلف الذى طالما جال به فى رسالته وصال .

— ٢٣ —

والظن القريب من اليقين : أنّ كوبرانا — فى تشبثه بدعوى الشعرية فى القرآن — متأثر — كأغلب المثقفين الأوروبيين — بالادب اليونانى القديم الذى قلده الرومان ، والذى انتهجه الادب اللاتينى ، ثم تأثر به الادب الغربى الحديث تأثرا لم يكفكف منه الا ظهور العهد الرومانتيكى أو التجديدى الحديث .

وقد كان جائزا فى ذلك الادب — أعنى الاغريقى — أن يكون موضوع الشعر قصة خيالية أو واقعة حقيقية أو حادثا تاريخيا عالجه الخيال مضمونا أو نصا ، أو اضافة أو نقصا .

ولقد أتى على الادب الاغريقى حين من الدهر لم يكن شيئا مدونا ، فتعرض آنئذ لكثير من التحريف على ألسنة الرواة عبر الاجيال .

وكان يستوى فى هذا القصص المنظوم نوعان :

١) القصة الشعرية البسيطة مثل مايطلق عليه : "بالاد" — *Ballad* وهى لفظ مشتق من كلمة فرنسية معناها الرقص ، فكأنهم كانوا يعنون بهذا النوع نظما ينشدونه أثناء الرقص .
وهذا النوع من النظم قريب من الهزج فى ادبنا العربى .
٢) القصة الطويلة ، وكانت عادة خطيرة الاحداث فخمة الأسلوب ، وكانوا يسمونها : الملحمة

Epos ويسمون أشعارها : الشعر الملحمى Epic Poetry وكان أبطال الملاحم الالـهة وأنصاف الالـهة .

ومن أشهر هذه الملاحم : الالياذة والاوديسه المنسوبتان الى شاعر اليونان القديم : هوميروس .

وقد استجدت ـ فى عهود تالية مديدة ـ ملاحم تترسم خطى هوميروس :

فالشاعر الرومانى فرجيل ، فى القرن الاول قبل الميلاد نظم الانياذة .

والشاعر الايطالى دانتى نظم فى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى ـ متأثرا بفرجيل ـ نظم "الكوميديا المقدسة" التى وصف فيها جهنم وأهلها وعذابها ، ووصف ما بين الجنة والنار ، حيث يتطهر العصاة نفسا وحسا .

والشاعر الايطالى أيضا آريوستو Ariosta نظم ملحمة أورلاندو الغاضب Orlando Jurioso

والشاعر الانجليزى ملتون Milton نظم الفردوس المفقود Pardise Lost

وشعراء القبائل الجرمانية نظموا ملحمة "أنشودة الظلام " Niebelungen Lied التى جمعها شاعر مجهول فى القرن الثانى عشر الميلادى .

فلعلّ دى كوبرانا ذكر هذه الملاحم ذات الصيت البعيد ، فظن أنّ القرآن يماثلها شكلا ، فبذل ـ فى محاولته الفاشلة ـ ما بذل .

ولكن القرآن ـ بالنسبة لكل ذى فهم وادراك وذوق ـ شئ آخر غير الملاحم ، وغير القصص، وغير الاشعار، " إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ" (يس/٦٩) .

لبيب السـعيد